📖**قال المؤلف –رحمه الله–: ودليلُ الخوفِ قوله تعالى :﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** : أما المقام الثاني فهو: مقام الخوف، والخوف معروف–أيها الإخوة–: وهو توقع مكروه عن إمارة أو علامة مظنونة أو معيوبة، إذن الخوف حقيقته: توقع أمر مكروه، وضد الخوف: الأمن، والخوف عبادة، الخوف: انفعال يقع في القلب وهو من العبادات، والدليل على أن الخوف عبادة – كما استدل الشيخ رحمه الله– هو قول الله عز وجل {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 175] ، فقد جعل ذلك شرطًا في الإيمان، وأول هذه الآيتِ{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 175] ، ومعنى {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ}: أي يخوفكم بأوليائه.

قال: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فدل ذلك على أن الخوف عبادة، **والخوف –أيها الإخوة– أنواع:** منه خوف العبادة، ومنه الخوف الطبيعي، ومنه الخوف المحرم، ونضرب لذلك أمثلة حتى يتميز ما يوقع في الشرك مما يوقع في الحرام مما هو مباح، نبتدئ بأدناها وهو الخوف الطبيعي:

- **الخوف الطبيعي**: هو ما جبل الله تعالى عليه الآدميين من الخوف من الأمور الضارة: كالخوف من السبع والحية والنار والعدو؛ فهذا خوف طبيعي وهو يقع لكل الناس، حتى أن موسى عليه السلام لما ألقى العصا وانقلبت ثعبانًا { وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ } [القصص: 31] ، إذن ثَم خوف طبيعي ركبه الله تعالى في بنية ابن آدم لدوام سلامته وضمان الجنس الإنساني، ولو لم يكن عند الإنسان خوف لهلك الناس منذ القدم ؛ لأن الخوف يحمل ابن آدم على أن يتقي ما يضره ،ولو لم يكن في قلبه هذا الدافع وهذا الوازع لوقع في المهلكات، إذن هذا نوع مباح لا يلام عليه صاحبه.
- **النوع الثاني: هو الخوف المحرم**: وهو ما منعك من فعل واجب، أو حملك على الوقوع في محرم؛ فهذا الخوف لا يجوز، فإذا كان عند الإنسان خوف مبالغ فيه، ومنعه من فعل ما أوجب الله تعالى عليه، وأوقعه فيما حرم الله تعالى عليه؛ فهذا خوف محرم لكنه لا يبلغ به مبلغ الشرك، **أضرب لذلك مثلًا**: وجب الجهاد على المسلمين واستنفرهم الإمام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: [وإذا استنفرتم فانفروا]، فمنع الخوف بعض آحاد المسلمين من القيام بهذا الواجب فهذا الخوف محمود أم مذموم؟ هذا الخوف مذموم؛ لأنه حال بينه وبين فعل ما أوجب الله تعالى عليه؛ ولهذا حذر الله عباده وقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14] لما قعدوا عن الجهاد خوفًا على أهليهم وأزواجهم وأولادهم.
- **أما النوع الثالث، وهو بيت القصيد؛ فهو خوف العبادة ويسمى أيضًا خوف الشرك** ؛ لأن محله القلب لا يطلع عليه إلا العليم بالأسرار، و:خوف العبادة هو أن يخاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فمن وقع منه ذلك؛ فقد وقع في الشرك الأعظم، أن يخاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: كأن يخاف من جن أو مخلوق أو غير ذلك أن يصيبه بشئ لا يملكه لا يستطيعه؛ فهذا الخوف خوف ينافي التوحيد؛ فلا يجوز صرفه لغير الله عز وجل، ويجب على الإنسان أن يعلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يصرف السيئات إلا الله عز وجل، فمن خاف غير الله

فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا هو الخوف الذي يسمى: **"خوف العبادة، أو خوف الشرك"**؛ فلا يجوز صرفه لغير الله عز وجل.

وبهذا يتبين لنا أن الخوف مراتب، ولعلي أنقل لكم كلامًا بديعًا لابن رجب –رحمه الله– يقول فيه: "القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم؛ فإن زاد على ذلك؛ بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلًا محمودًا، فإن تزايد على ذلك؛ بأن أورث مرضًا أو موتًا أو وهمًا لازمًا؛ بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل؛ لم يكن محمودًا"، فالخوف المطلوب منا – معشر الإخوان –: الخوف المحمود، وهو الخوف الذي يحجزك عن محارم الله؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله، فما زاد فلا حاجة لك به، وبيان ذلك أنك تحتاج حصة من الخوف في قلبك تكون رادعًا لك عن غشيان الحرام، فإذا تحقق ذلك فأنعم وأكرم لا بأس إن زاد قليلًا وحملك على مزيد توق من المشتبهات والمكروهات، فهذا نور على نور، لكن إن تزايد ذلك الخوف بحيث أفسد عليك عيشك، وأقض مضجعك، وصرت لا تهنأ بعيش؛ فهذا عليك أن تتخفف منه؛ لأنه ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل الواقع أنه يتحول إلى حالة نفسيه غير مراد شرعا، فبعض الناس مثلًا الذين يدمنون قراءة المواعظ والزواجر ربما يتضاعف عندهم هذا الشعور حتى يسبب لهم قلقًا وأرقا وبلبلة وتشويشًا إلى درجة أنه يعطل عليهم مصالحهم الدينية والدنيوية؛ فلا يهنأ بعيش ونبينا صلى الله عليه وسلم– وهو سيد الخائفين بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم– كان من أطيب الناس عيشًا وأهنأهم مجلسًا، الخوف الذي نحتاج إليه هو الخوف الذي يحجزنا عن محارم الله ومازاد فلا حاجة لنا به.

📖**قال المؤلف –رحمه الله– : ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى :﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**: أما الخصلة التي بعدها فهي الرجاء، وحقيقة الرجاء: أنه ظن وانفعال يقوم في القلب يقتضي حصول مافيه مسرة، وربما من أقرب الكلمات التي نتداولها الأمل، فالرجاء هو الأمل، أن يأمل الإنسان حصول شئ محبوب، هذا الرجاء أيضًا عبادة، والدليل على كون الرجاء عبادة قول الله عز وجل: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110]، أرأيتم كيف أن الرجاء عبادة؟! {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ}؛ إذن ليس بالأماني لا بد من العمل {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}، **والعمل الصالح ما جمع وصفين:**

- **الوصف الأول**: الإخلاص لله.
- **الوصف الثاني**: المتابعة لرسول الله.

قال: {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }: فدل ذلك على أن رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، وبهذا نستطيع أن نقول: **إن الرجاء أيضًا نوعان:** رجاء عبادة ورجاء مباح:

- **فرجاء العبادة** لا يجوز صرفه لغير الله، رجاء السر وهو أن يتعلق القلب في سويدائه بالمرجو في حصول منفعة أو دفع مضرة:

فإن كان ذلك الأمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يجوز صرفه لغير الله.

أما إن كان ذلك الأمر مما يقدر عليه الغير فلا حرج فيه، ولا بأس بأن يطلب من الغير فإذا قلت لصاحبك: أرجوك أعطني الكتاب، هذا ليس رجاءًا شركيًا، إذا قلت: أرجوك اسمع لكذا وكذا، وهو ممن يقدر على صنع ذلك الأمر، فهذا ليس رجاءًا شركيًا، ومع ذلك -أيها الإخوان- أهل التحقيق وأهل التوحيد البالغ يفحصون رجاءهم حتى إذا طلبوا من غير الله عز وجل أمرًا ليتحقق على أيديهم لم يفارقهم شعور بأن مسبب الأسباب هو الله عز وجل، فإذا ذهب مثلًا إلى طبيب يعلم أنه استشاري مشهور، لا يجد قلبه معلق بشخص هذا الطبيب، وإنما يقوم في قلبه أن هذا الذي أمامه سبب ساقه الله تعالى إليه وربما أجرى الشفاء على يديه، فقلبه في الحقيقة يستقبل قبلة ربه ولكنه لا يبطل الأسباب، يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب، لا يلغي السبب لكنه لا يغفل المسبب، ولابن القيم -رحمه الله- كلام جميل نتلوه عليكم في الرجاء يقول -رحمه الله-: "الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويُطيب لها السير". وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب سبحانه وتعالى وقد قيل شعرًا :

لولا التعلق بالرجاء تقطعت *** نفس المحب تحسرًا وتمزقًا

لولا الرجا يحدو المطي لما *** سرت بحمولها لديارهم ترجو القا.

وهناك – أيها الكرام فرق بين الرجاء وبين الأماني-: الأماني بضاعة البطال، {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء: 123] الرجاء مقرون بعمل، {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ } [الكهف: 110] ، أما الأماني فإنها تشوفات وتطلعات غير مقرونة بعمل، فلا يلبث أن يرى أن بساط العمر قد طوي ولم يخرج بطائل، فإياك أن تقع في هذا المزلق – مزلق الأماني-؛ فإنه لا يوصلك إلى مقصودك. إذن كما ترون ذكر الشيخ -رحمه الله- عبادتين متقابلتين، وهما الخوف والرجاء، وهذا من بديع دين الله: أن الله سبحانه وتعالى يضبط النفس الإنسانية في معادلة دقيقة بحيث أن هذا القلب يجري في هذا المضمار بين قطبي الخوف والرجاء، فالعبد يخاف من الله تعالى خوفًا يحجزه عن معاصيه، ويتعلق بربه تعلقًا يحفزه على طاعته، ويصبح القلب بين هذين متوازنًا، فإذا أقبلت نفسه على الدنيا واستشرفت في مباهجها وفتنها؛ جاء الخوف فضربه بسوط لاذع وقال: الجادة الزم الطريق، وإذا ادلهمت الخطوب وضاقت به السبل ووقع في المضائق؛ جاء نسيم الرجاء فنفس عنه وعلقه بربه وبفرجه؛ فتنفس الصعداء وتفتحت له الآفاق، كل هذا من بركة هاتين العبادتين الجليلتين؛ ولهذا صور العلماء الخوف والرجاء كجناحي الطائر؛ فقالوا: "إن الخوف والرجاء كجناحي الطائر"، لو كان أحد الجناحين أكبر من الآخر ماذا يكون في طيران الطائر؟ يج نح، فينبغي أن يكون الحال

الغالب على الإنسان تساوي الخوف والرجاء كما قال ربنا عز وجل: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } [الإسراء: 57]؛ فاضبط نفسك بين الخوف والرجاء.

هناك عبادة ثالثة في الحقيقة هذا موضعها ومحلها، سبحان الله لم يذكرها الشيخ، ولعل هذا فوات حرص من العبادات الجليلة، وهي من أشرف العبادات القلبية ألا وهي المحبة ولعل هذا فوات حرص لأن العبادات أمهات العبادات القلبية الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وأصل هذه الأنواع الثلاثة وأشرفها ماذا ؟ المحبة، فالمحبة أعظم من الخوف والرجاء ؛ لأن الخوف ينقطع ببلوغ الجنة: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف: 68] وكذلك الرجاء، أما المحبة فهل تنقطع؟ لا، محبة المؤمن لربه باقية في الدنيا وتتضاعف في الآخرة، والمحبة لا شك أنها من أجل العبادات، ودليلها قول الله عز وجل: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [البقرة: 165]؛ فمحبة الله عز وجل أشرف أنواع العبادة، وقد جاء في الحديث: [أحبوا الله من كل قلوبكم]، وكما قلنا في الخوف والرجاء، **المحبة كذلك أنواع:**

- **فهناك محبة طبيعية غريزية مباحة** : كمحبة الطعام والشراب والولد والوالد والزوجة والزوج وغير ذلك، هذه محبة طبيعية لا يلام عليها صاحبها.
- **وهناك محبة محرمة:** وهي أن تحمله المحبة والتعلق بالشيء إلى الوقوع فيما حرم الله، فلو أحب مثلًا شرب الخمر – أكرمكم الله والمكان– وشربه فهذه محبة مذمومة؛ لأنها أوقعته في معصية الله.

وأما المحبة –محبة العبادة السر–، فهذه لا يجوز أن تصرف لغير الله، فمن أحب غير الله المحبة التي لا تنبغي إلا لله؛ فقد وقع في الشرك الأعظم {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [البقرة: 165] ، ومن رُزِق هذه العبادة فصارت في عينه جميع المحاب وجميع الملذات بل وصارت جميع المحاب الأخرى تندرج تحت محبة الله عز وجل؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب الرجل لا يحبه الا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار]، وبهذا تكتمل الحلق الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء؛ فحري بالمؤمن العاقل اللبيب أن يعتني بتحصيل هذه الأمهات، أمهات العبادات الثلاث: المحبة والخوف والرجاء، وقد صور بعض العلماء هذه الثلاث بالصورة التالية قال: "ما مثل ذلك إلا كمثل مركبة يستقلها الإنسان، هذه المركبة هي المحبة، والقائد الذي يقودها هو الرجاء، والذي يحجزها عن الحيدة يمنة ويسرة ما هو؟ الخوف"، هكذا نسير إلى الله عز وجل، هكذا يسير الموفقون إلى عز وجل محبة تحملهم إلى خالقهم وبارئهم ومعبودهم، يقود هذه المحبة إلى الأمام الرجاء والتعلق بالله عز وجل، ويحجبهم عن الحيدة يمنة ويسرة الخوف، فما أعظم هذه الثلاث –الحب والخوف والرجاء! .

📖**قال المؤلف –رحمه الله–: ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** : ما التوكل؟ حقيقة التوكل اعتماد القلب على الله عز وجل في حصول المطلوب، ودفع

المرهوب مع فعل الأسباب الموصلة إلى ذلك، هذه حقيقة التوكل الشرعي، اعتماد القلب على الله، إذن قلب يركن إلى ركن شديد: وهو الله عز وجل، ما هو في الكلام فقط، وهذا يتضح لكم في المواقف، يتبين من المتوكل على الله حقًا ممن يتوكل بلسان، إذا ادلهمت الخطوب وضاقت السبل وغلقت الأبواب؛ حينئذٍ يهرب القلب يفزع يمنة ويسرة، فمن كان فزعه إلى الله عز وجل معتقدًا بأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يدفع السيئات إلا الله عز وجل، ولم يمنعه شعوره ذلك من اتخاذ الأسباب التي نصبها الله أسبابًا؛ فهذا المتوكل حقًا، وأما من اتكأ على أريكته وقال: أنا متوكل، ولم يفعل سببًا؛ فهذا متواكل وليس متوكلًا، فلا بد في التوكل من فعل الأسباب.

استدل الشيخ –رحمه الله– على إثبات عبادة التوكل بقول الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، هكذا جاء فيما خاطب به موسى عليه السلام بني اسرائيل حينما قالوا : {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} [الأعراف: 129] فوعظهم وكان في موعظته: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ أو في موضع آخر، فدل ذلك على أن التوكل شرط في الإيمان، وكذلك قول الله تعالى على سبيل الإطلاق: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق: 3] ما معنى حسبه ؟ يعني كافيه، لاحظوا من: أداة شرط، يتوكل: فعل الشرط، جواب الشرط وجزاؤه: جملة فهو حسبه، يعني لو تكفل لبعض الناس بنك من البنوك بضمان بنكي، قال: خلاص أنا الآن مقنع، فكيف وهذا ضمان من رب العالمين أين نحن؟!.

قال: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ : تأملوا هذه الآية جاءت عند ذكر الرزق فقال الله تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2، 3] أرأيتم؟ ما أحوجنا إلى الإيمان؟! ما أحوجنا إلى استحياء هذه المعاني في قلوبنا لماذا نقلق؟ لماذا نأرق؟ لماذا يلحقنا الهم والغم؟ بسبب ذهاب النفس حسرات في الأسباب الدنيوية، لكن لو كان العبد مملوء القلب مغمورًا بهذه المعاني؛ استقر قلبه وسكن وهدأ باله ولم يكن عنده ما يدعوه إلى القلق، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق: 3]:

- **ومن التوكل ما يكون توكلًا يتوقف عليه أمر التوحيد والشرك، وهو توكل العبادة**؛ فهذا لا يجوز صرفه لغير الله؛ فلا يجوز للعبد أن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلو قال عبد لشخص: توكلت عليك في شفائي أو توكلت عليك في رزقي؛ فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله عز وجل.
- **وأما التوكل المباح؛ فهو ما يُعرف عند الفقهاء "بالوكالة الشرعية"**: بأن يذهب الإنسان إلى كتابة العدل ويقول: وكلت فلانًا ببيع بيتي أو في شراء كذا أو كذا؛ فهذا لا حرج فيه، وقد وكَّل النبي صلى الله عليه وسلم عددًا من أصحابه في بعض الأمور، ولم يزل الناس هكذا الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض، وإن لم يشعروا خدم، فالناس يقضي بعضهم مصالح بعض بالوكالة، فهذه وكالة لا حرج فيها ونقول أيضًا: أنه ينبغي لمن وكل غيره بوكالة أن يستصحب في قلبه أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يبلغه مقصوده، وأنه ليس الوكيل الفلاني هو الحاذق البارع الذي يمكن أن يتم عليه المطلوب، بل يرى أن هذا سببًا نصبه الله تعالى يمكنه من بلوغ مراده.

هذه -أيها الإخوة الكرام- خمسة أنواع من أنواع العبادة: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأضفنا إليها المحبة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله أعلم.